

"المدارس العربية الإسلامية بمالي: تاريخها وأدوارها والدينية والثقافية"

**Arabic-Islamic Schools in Mali:  
Their History and Religious and Cultural Roles**

د/ يوشع ألسان توري<sup>1</sup>

**Dr Youcha Alassane TOURE, Bamako /Mali**

**Doi :003-002-007-2157/10.53283**

تاريخ الاستلام: 2025/08/10 تاريخ القبول: 2020/09/24 تاريخ النشر: 2020/12/31

**الملخص:**

يهدف هذا المقال إلى إلقاء الضوء على دور المدارس العربية الإسلامية في نشر التعليم ترسيخ القيم الدينية والثقافية في المجتمعات الإفريقية، لا سيما في السياق المالي. ويوضح كيف أسهمت هذه المؤسسات التعليمية العريقة في تعليم اللغة العربية، وتحفيظ القرآن الكريم، وتدرّس العلوم الشرعية والعقلية، إضافة إلى أدوارها التوجيهية والاجتماعية من خلال العلماء الذين تخرجوا منها. كما يشير المقال إلى الأثر الحضاري لهذه المدارس، باعتبارها مؤسسات ساهمت في بناء الإنسان وتكوين مجتمع قائم على المعرفة والدين. وتخلص الدراسة إلى أنّ هذه المدارس مثّلت ركيزة أساسية في النهضة الدينية والثقافية، ولا تزال تحتفظ بمكانتها في المجتمعات الإفريقية عامة، والمجتمع المالي المعاصر.

**الكلمات المفتاحية:** المدارس - العربية - الأدوار - التاريخ - الثقافة - الدين.

**Abstract:**

This article aims to shed light on the role of Arab-Islamic schools in promoting education and reinforcing religious and cultural values in African societies, particularly in the Malian context. It highlights how these long-established educational institutions contributed to teaching the Arabic language, memorizing

<sup>1</sup> - بيانات المرسل: اسم ولقب المرسل: د./ يوشع ألسان توري ، جامعة يامبو ولوغيم باماكو البلد: مالي،

البريد الإلكتروني: [toure.youcha@yahoo.com](mailto:toure.youcha@yahoo.com) / [youchaalassane@gmail.com](mailto:youchaalassane@gmail.com)

the Qur'an, and offering instruction in both religious and rational sciences. Moreover, it discusses their guiding and social roles through the scholars they produced. The article also explores the profound civilizational impact of these schools, viewing them as institutions that played a key role in shaping individuals and building a society rooted in knowledge and faith. The study concludes that these schools have constituted a foundational pillar of religious and cultural revival and continue to hold a prominent place in African societies in general, and contemporary Malian society in particular.

**Keywords** schools – Arabic – roles – history – culture – religion.

#### مقدمة:

عرفت دولة مالي منذ العصر الوسيط، ازدهارا علميا، ودينيا، وثقافيا وحضاريا، تتمثل في المراكز والمجالس العلمية، التي ساعدت على تأسيس المدارس العربية الإسلامية وانتشارها وتطورها في جميع أنحاء البلاد، وظلّت مكونا أساسيا من مكونات تشكيل ملامح الشخصية المالية، وبناء الوعي الديني، وتعزيز الهوية الثقافية والحضارية في المجتمع.

فقد لقيت المدارس العربية الإسلامية قبولا وترحابا وإقبالا لدى المجتمع المالي المسلم الذي أدرك منذ الوهلة الأولى، أنّ ممارسة العبادة التي هي المقصد الأسمى للوجود للخلق على وجه الأرض، وقد صنعت المدارس كوادِر وقامات علمية أسهموا في تعليم الناس أمور دينهم، وتفاعلوا إيجابيا مع القضايا الدينية والثقافية والاجتماعية المطروحة.

وقد اضطلعت المدارس العربية بتدور ريادي أساسية في محو الأمية، ونشر الثقافة الإسلامية، والحفاظ على لغة الضاد، على مرّ السنين، فأخرجت للناس علماء وفقهاء ومثقفين ودعاة، ينشرون القيم الأخلاقية الإسلامية، ويكوّنون الأجيال الصاعدة، ويزرعون فيهم قيم التوحيد، والعمران، وروح الوطن.

#### مشكلة البحث:

بالرغم من أهمية المدارس التاريخية، وأدوارها الدينية والثقافية، إلا أنّها لا زالت تواجه مشكلات عديدة لا سيما في ظلّ التحدّيات العالمية المعاصرة، والسؤال المطروح، هو: ما هي الأدوار الدينية والثقافية التي اضطلعت بها المدارس العربية الإسلامية بمالي، وما السبيل إلى تقويتها وتعزيزها في ظلّ الأوضاع الراهنة؟

**أهداف البحث:**

- 1- بيان أهمية المدارس وأدوارها التاريخية والدينية والثقافية.
- 2- الكشف عن إسهامات هذه المؤسسات التعليمية الإسلامية في بناء الأجيال.
- 3- الرغبة في انجاز بحث يسهم بشكل أو بآخر في قضايا التعليم، والثقافة، والحضارة في بلادنا.

### المحور الأول: الخلفية التاريخية للتعليم العربي الإسلامي في غرب إفريقيا

يشكّل التعليم دعامة أساسية من دعائم تطوّر المجتمعات الإنسانية، وتقدّم الدول، ومن ثمّ فهو وسيلة مساعدة على تحقيق التنمية الاجتماعية والنهوض الحضاري للأمم، وبناء الأجيال الصاعدة، وترسيخ روح العمل والابداع في العلوم والمعارف التي بها التي يرقى بالاجتمع إلى مصّاف الدول المتقدّمة.

للتعليم العربي الإسلامي دور بارز في تنشئة الشخصية الإنسانية تنشئة إسلامية معتدلة، وذلك بتعليمه مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وقواعد اللغة العربية، التي هي لغة القرآن الكريم والتي تمثّل وسيلة لفهم النصوص الدينية فهما صحيحا سليما. ولا يمكن الحديث عن تاريخ التعليم العربي الاسلامي بمعزل عن تاريخ الإسلام بإفريقيا الغربية، إذ توجد علاقة عضوية بالدين الإسلامي ومبادئه في الغرب الإفريقي، حيث بدأ التعليم الإسلامي الأصيل فور وصول الإسلام إلى المنطقة.

تجدر الإشارة، إلى أنّ منطقة السودان الغربي عرفت ثلاث إمبراطوريات كبرى ساهم بعض سلاطينها في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا الغربية. وقد عرف التعليم العربي الإسلامي تطوّرا وازدهارا كبيرين في ظلّ تلك الامبراطوريات والممالك الإسلامية، حيث أسست المراكز العلمية والثقافية في تنكت وغاو وجني، وصوكوتو وبرنو وكانو والتي أسهمت في انتشار الإسلام والثقافة العربية في منطقة السودان الغربي. "حيث كانت كتابات منتشرة في كلّ أنحاء الوطن، وكان المتعلّمون فيها يحفظون القرآن الكريم، بالإضافة إلى مبادئ اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وقد تخرّج منها عدد كبير من العلماء الأفاضل الذين تضلّعوا في شتى العلوم الإسلامية والعربية".<sup>2</sup> (ميغا، 2017).

عرفت منطقة الغرب الإفريقي في ظلّ الإمبراطوريات والممالك الإسلامية ازدهارا ثقافيا ونشاطا علميا، وكان مجال التعليم أحصب المجالات تطوّرا وإنتاجا، وكانت اللغة العربية، والعلوم الشرعية أساس المقررات التعليمية، ولعلّ من أشهر مراكز حركة التعليم آنذاك تمبكتو وجني وغاو، وبرنو وكام وسوكوتو، التي شهدت ازدهارا علميا حتى أصبحت مراكز إشعاع ثقافي وحضاري كبيرا. وبلغت الحركة العلمية والثقافية ذروتها فبنيت المساجد، والمراكز التعليمية، وكان الملوك يحترمون العلماء ويوقّروهم، ويقدموا الهدايا، كلّ ذلك أسهمت بشكل فعّال في تنشيط الحركة العلمية والثقافية، ونشر الإسلام وثقافته في جميع أنحاء إفريقيا. ولعلّ من أبرز المدن والمراكز التعليمية يومئذ ما يلي:

### تنبكت Tombouctou

مدينة من أقدم المدن الحضارية والثقافية في منطقة السودان الغربي في عصر الإمبراطوريات والممالك التي عرفتها المنطقة، بحكم موقعها الاستراتيجي والتجاري، حيث كان مركزا تجاريا هاما لأتّما تمثّل همزة وصل بين إفريقيا جنوب الصحراء، وشمال إفريقيا، الأمر الذي سهّل عملية التبادل التجاري والثقافي بين دول غرب أفريقيا وشمالها، ممّا ساعد في تطوّر الحركة العلمية والثقافية في تنبكت، وأمسّت مركزا تعليميا وثقافيا بارزا، إذ شيّدت فيها المساجد والجوامع والمراكز العلمية، ووفد إليها الطلاب من كلّ أرجاء إفريقيا لتعلّم العلوم الشرعية واللغوية والإنسانية، وباتت إحدى مدن الثقافة الإسلامية في العالم الإسلامي على غرار الأندلس، والقيروان، وفاس، وغيرها من المدن الإسلامية المشهورة في نشر التعليم الإسلامي، والثقافة الإسلامية آنذاك.<sup>3</sup> (ميغا، 1997).

### جني Djenné

تحتل مدينة جني الواقعة في وسط جمهورية مالي المرتبة الثانية بعد تنبكت من الناحية العلمية والثقافية أيام الامبراطوريات والممالك الإسلامية بالسودان الغربي، تعدّ مدينة من أكبر الحواضر الثقافية

بمالي، إذ كان بها ولا يزال عدد كبير من الجوامع والكتاتيب والمدارس التي يتلقى فيها الطلبة العلوم الشرعية واللغوية والإنسانية والاجتماعية،<sup>4</sup> (المبروك، 2001)

مثّلت مدينة جني مركزا علميا وثقافيا هاما في السودان الغربي خاصّة أيام الأساكي، فكان بها عدد كبير من العلماء والشيخوخ، وكان ملوك الأساكي يقدّرون العلم، وييجلّون أهلها، ولشدّة احترام السلاطين للعلماء والطلبة لا يمرّ جيش من جيوشهم بجني إلّا بملاقة قاضيها وتقديم الهدايا له، ومساعدته لبناء مأوى للطلبة، أو تشييد الجوامع والمساجد وترميمها.<sup>5</sup> (زيادية، د.ت)

### غاو Gao

مدينة غاو هي عاصمة امبراطورية سنغاي السياسية، وتقع في شمال مالي، وهي الإقليم السابع في التقسيم الإداري لجمهورية مالي، إضافة إلى ذلك فإنّ مدينة غاو من أجمل المدن من حيث الهندسة العمرانية "وبها قصور الملك ورؤساء دولته، وهي من أجمل مدن السودان الغربي كلّ".<sup>6</sup> (زيادية، د.ت) علاوة على ذلك، فهي تمثّل مدينة تجارية كبيرة "نتيجة لموقع المدينة في ملتقى طرق القوافل التجارية الوافدة من شمال إفريقيا والمشرق العربي، فقد أصبحت تعجّ بالتجارة المسلمين".<sup>7</sup> (زونغورونا، 2002).

قامت دولة مالي عامّة، ومدنها الثلاث خاصّة، تنبكت، وجني، وغاو، بأدوار ريادية في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء، فقد كانت هذه المدن وما زالت تضطلع بدور كبير في النهوض بثقافة الإسلام وحضارته، ورغم التحديات السياسية والاقتصادية التي تعيشها دولة مالي عامّة، وهذه العواصم الثقافية خاصّة، إلّا أنّ علماءها وشيوخها، وكتّابها، ومثقفها يسهرون في خدمة الإسلام، ونشر تعاليمه، تدريسا، وتأليفا، وتوعية.

## بورنو: BRUNO

دولة بورنو من الدول العريقة في التاريخ الإسلامي الإفريقي، واشتهرت بورنو من بكثرة العلماء، وحملة كتاب الله العزيز، وامتدت الحركة العلمية والثقافية الإسلامية بها إلى ظهور المجاهد الكبير رائد الفكر الإصلاحى الشيخ عثمان فودي بمنطقة غرب إفريقيا وأوسطها. وقد أدى عدد كبير من علماء بورنو بأدوار مهمة في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية، ونال بعضهم تأييد الملك وتشجيعه في الدعوة الإسلامية بين شعوب المنطقة، وكانت علاقة الملك وبالعلماء وطيدة، حيث كانوا مكلفين بالقضايا المرتبطة بالحياة الدينية والسياسية والاجتماعية والإدارية، ومن أبرزها هؤلاء العلماء نذكر: أحمد بن عبدول الذي تولى منصب قاضي القضاة، وآدم بن إبراهيم، وغيرهم من العلماء الذين اضطلعوا بأدوار مهمة في مملكة بورنو الإسلامية. (باري، 2000).

### المحور الثاني: المدارس العربية الإسلامية بمالي: التشكل والتطور

إذا كانت دولة مالي عرفت تعليما عربيا إسلاميا منذ وصول الإسلام إلى أراضيها، وازدهرت بها الثقافة العربية الإسلامية، بتشجيع الجوامع والمساجد، وتأسيس المراكز العلمية وجامعات والتي لا تقل أهمية عن الحواضر الإسلامية الأخرى في العالم الإسلامي. والتي أدت أدوارا هامة في تكوين ملامح الشخصية الإفريقية على القيم والمبادئ الإسلامية، تلك المراكز العلمية والثقافية التي سيطر التاريخ يحفظ لها الفضل في إشعاع اللغة العربية والحضارة الإسلامية وانتعاشها في الغرب الإفريقي. إلا أن هذا التعليم لم يكن نظاميا، بل كان تعليما أصيلا واستمر لعدة قرون إلى منتصف القرن العشرين إبان الاستعمار الفرنسي الذي بدأ فيه تأسيس المدارس العربية الإسلامية تحت النفوذ الاستعماري.

### 1- كرونولوجية تأسيس المدارس:

بعد سقوط الدول والممالك الإسلامية التي عرفتها دولة مالي، وأخذ النشاط والفكري والثقافي بالتراجع والاضمحلال ببسط الاستعمار نفوذه على الأراضي الإفريقية عاقمة، ومالي خاصة، شهدت دولة مالي إنشاء مدراس عربية إسلامية في بعض جهات الدولة، حسب "تفاوت مناطقها في الاتصال بالثقافة

الإسلامية والعربية، وإلى قدم عهدها بالإسلام وحدثتها" (ميغا، 1998) في المنطقة ككل، فكانت لدولة مالي نصيب الأسد في بناء المدارس، وذلك لمئات ارتباطها الثقافي والحضاري والعلمي والتجاري بالمغرب العربي، وإقبال الماليين على التعليم الإسلامي، لمواصلة المسيرة على درب الأسلاف في تعليم الثقافة الإسلامية واللغة العربية ونشرها وترسيخها في شخصية المتعلم المالي.

استمر التعليم العربي الإسلامي الأصيل على نفس المنوال إلى الاختراق الأوروبي للقارة الإفريقية الذي أدى في آخر المطاف إلى احتلال جزء كبير من البلدان الإفريقية بما في ذلك مالي. وأولى الاستعمار الفرنسي الاهتمام بالشأن التربوي والتعليمي، وسعى إلى النهوض بالتعليم الفرنسي وتطويره في مالي من خلال تأسيس المدارس الفرنسية، بهدف تعليم اللغة الفرنسية التي صارت لغة الإدارة والشغل بمالي إلى يوم الناس هذا؛ إضافة إلى نشر الثقافة الفرنسية التي صنعت نخبا ومثقفين ماليين انسلخوا من هويتهم المالية، وقيمهم الوطنية، وفي ظل هذه الهيمنة الفرنسية على ثقافة الماليين وقيمهم الوطنية، ومرجعيتهم الدينية، ظهرت فكرة تأسيس المدارس العربية الإسلامية، التي تركز على تعليم المواد الدينية والاجتماعية والإنسانية باللغة العربية، مع دمج بعض المواد اللغوية كالفرنسية والانجليزية، لتصبح بدائل للمدارس الفرنسية العامة ذات الطابع الغربي العلماني (Ministère de l'Education, 2010)

وتجدر الإشارة إلى أنّ السلطات الاستعمارية بمالي لم تترك مشروع تأسيس مدارس عربية إسلامية تنافس المدارس الفرنسية، وتناهض مشروع التعليم الفرنسي العلماني، يرمّ بسهولة، حيث يدرك الاستعمار جيّدا أنّ اللغة العربية والثقافة الإسلامية متجذرة في أعماق الماليين وراسخة في فكرهم ووجدانهم، ومن ثمّ ستجد هذه المؤسسات التعليمية الجديدة إقبالا كبيرا لدى الماليين، فوضعوا شروطا وقيودا لفتح المدارس العربية الإسلامية، لتكون هذه المدارس تحت رقابتهم. ولذا يكون تأسيس المدرسة بإذن من حاكم الاستعمار الفرنسي، أصدر السلطة الاستعمارية 1906م، مرسوما بفتح المدارس العربية الإسلامية بمالي، وفق شروط وضعها المستعمر:

أوّلا: تبقي التعليم الفرنسي.

ثانيا: إجراء مقابلة مع المؤسس لتحديد أهداف المدرسة.

ثالثا: امداد الحاكم بتقرير شهري.

رابعا: عدم ترسيم أي تلميذ لم يتجاوز 15 عاما. (دامبلي 2017)

وطبقا لهذه الشروط التي وضعتها السلطات الاستعمارية الفرنسية، شرع الناس في فتح المدارس العربية الإسلامية بمالي، واستقبال التلاميذ الراغبين في تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية في العديد من جهات البلاد، ولعلّ المعهد الفرنسي العربي بمدينة تنبكت، هو أوّل مدرسة عربية خاصّة أسّست بمالي، بمبادرة من الحاكم الفرنسي كلوزيل Clozel وتقوم هذه على تعليم ثنائي اللغة (العربية-والفرنسية)، والتي غيّر نظامها ليطابق النظام التعليمي العام بالسودان الفرنسي (مالي حاليا). (دامبلي 2017)

تمكّن عدد من الطلاب السودانيين الفرنسيين (مالي حاليا) -في ظلّ الاستعمار- من الذهاب إلى دول الشرق الأوسط، ولا سيّما مصر لمزاولة الدراسات الإسلامية، فكانت عودة الدفعة الأولى إلى أرض الوطن في الأربعينيات القرن العشرين، فكان بداية ميلاد المدارس العربية الإسلامية. وكانت هذه المؤسسات التعليمية دينية بحتة، كما هو ظاهر على اسمها، وبرامجها التعليمية معتمدة أساسا على القرآن الكريم، والحديث، واللغة العربية، والعلوم الدينية: كعلم الكلام، والفقه والسيرة النبوية، إضافة إلى ذلك، أدرجوا بعض الموادّ العلمية والاجتماعية والإنسانية في المراحل الأساسية، التي تُدرّس باللغة العربية، كالتاريخ، والجغرافيا، والحساب، وانتشر هذا النوع من المدارس في كلّ من كايس وسيغو، وباماكو في ذلك العصر. (Sidibé, 2021)

استمرّ تأسيس المدارس العربية الإسلامية بمالي لاستقطاب متعلّمي مالي الراغبين في تعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، فكانت مدرسة "الفلاح" بكاييس Kays التجربة الأولى للمدارس العربية الإسلامية بمالي، التي أسسها الشيخ محمود باه، بعد عودته من المملكة العربية السعودية سنة 1945م، وحصل على شهادة رخصة لها بعد عام من فتحها. وحظيت المدرسة في -بداية الأمر- بتقدير الإدارة الاستعمارية لعموميتها وحدثة أساليبها التعليمية، وبعد مرور بضع سنين، اعتبرت القوى الاستعمارية المؤسس ناشطا إسلاميا، فأغلقت المدرسة سنة 1953م، وبعد 7 سنوات أعيد افتتاحها أي بعد استقلال مالي مباشرة سنة 22 سبتمبر 1960م. (سيلا، 2008).

أسس سعد عمر توري عام 1946م، ثاني مدرسة عربية إسلامية بمالي، في مدينة سيغو Ségou وسط البلاد، وسمّتها بمدرسة "سبيل الفلاح"، وكان نظام هذه المدرسة التعليمي مغايرا لما

سبقها، إذ حاول مؤسسها اقتباس برامجها من التراث الفكري والعلمي المالي الذي تركه الأسلاف، كما أنّ تعلّم المؤسس اللغة الفرنسية ساعده على إدراج اللغة الفرنسية في منهج المدرسة التعليمي، على أن ثنائية التعليم في مدرسة سبيل الفلاح ساعدتها على التقدّم وسهولة التعامل مع السلطات الاستعمارية، ومن ثم اكتساب سمعة طيبة، وشهرة كبيرة على المستوى الإقليمي، إلى جانب المسؤولية الإدارية والبيداغوجية، كان سعدا مؤلفا أيضا، ألف كتبين في النحو والصرف العربيتين، وكانا وما زالا معتمدين في برامج اللغة العربية في المراحل الابتدائية والاعدادية بالمدارس العربية الإسلامية المالية.

وفي عام 1946م، تلّقت سلطات الاستعمار الفرنسي طلبا لإنشاء مدرسة إسلامية من قبل أربعة طلاب ماليين تخرّجوا في جامعة الأزهر المصرية، ونالوا شهادة رخصة عام 1947م، وبعد خمس سنوات أدركت الإدارة الاستعمارية أنّ برامج المدرسة قائمة على التطرّف الديني، فأغلقت في العام نفسه. (تيام، 1993) وفي عام 1957م، أسس شيخنا أحمد حمّاه يتباري مدرسة "المعهد الإسلامي" باماكو، وأسس الشّيخ الحاج مودي دوكوري مدرسة "دار القرآن والحديث" 1958م، بمدينة طوبي بكيس. (Sidibe, 2021)

ما يمكن الإشارة في هذا المستوى، أن هذه المدارس العربية الإسلامية المتحوّلة من كتاتيب ومساجد وزوايا إلى مؤسسات تعليمية نظامية، لم تكن ذا إمكانيات مادّية، أو ممّولة من جهة ما، ولم يزاوّل جلّ مؤسسيها في جامعات البلدان العربية، كما لم يتكوّنوا من معاهد تعليمية، بل تعلموا على أيدي شيوخ الكتاتيب والمجالس العلمية، فتعمّقوا في العلوم الشرعية كالقرن وعلومه والفقّه المالكي وعلوم اللغة من نحو صرف بلاغة وأدب نحو ذلك. (دامبلي، 2017).

## 2-تطوّر المدارس العربية الإسلامية بمالي:

لئن تعرّضت المدارس العربية الإسلامية بمالي أيام الاستعمار الفرنسي لمالي تحديات واضطهادات أثّرت على تطوّرهما وانتشارهما في جميع مناطق البلاد، إلّا أنّها شهدت بعد استقلال جمهورية مالي عام 1960م بعقد من الزمان تقريبا تطوّرًا ملحوظًا وإن واجهت عقبات حال دون تحقيق جميع مقاصدها، التربوية وأهدافها التعليمية على الوجه المطلوب، لعوامل سياسية، وايدولوجية. يمكن تقسيم تطوّر المدارس العربية الإسلامية بمالي إلى ثلاث مراحل أساسية:

### أ/التعليم العربي الإسلامي بمالي : 1960م-1968م

مثّلت هذه المرحلة مرحلة بناء الدولة الوطنية، وإرساء أسسها، وتشديد أعمدتها، ولعلّ الحقل التربوي والتعليمي يشكل ركنا أساسيا في قيام الدول وتطويرها، إلّا أنّ الرئيس موديبو كيتا الرئيس الأوّل لجمهورية مالي اهتم بالتنمية الاقتصادية أولا، وهذا طبيعي، لأنّ من شروط تحقيق الجودة التعليمية توفير ميزانية مالية لقطاع التعليم.

كانت للحكومة الأولى بعد الإستقلال -ذات الاتجاه الشيوعي- موقف تجاه التعليم العربي الإسلامي على مستوى المنهج والمحتوى، إذ أردت أن تكون مناهجها ومقرراتها مطابقة للسياسة التعليمية التي وضعتها الدولة، أي تعليميا يكون أجيالا وكوادر منتجين قادرين على المساهمة في بناء الدولة، ومؤهلين لتلبية حاجات المجتمع المالي وتطلّعاته.<sup>8</sup> (سيسي، 2009).

ما يلفت الانتباه، هو أنّ نظام موديبو كيتا، سعى إلى تأسيس المدارس العربية الإسلامية بمالي على نخط المدارس الفرنسية العلمانية، إذ لم تكن التعليم العربي الإسلامي ضمن أولويات حكومة كيتا، ونتيجة لذلك، لم تشهد المدارس تطوّرًا ملحوظًا في فترته، لأنّ الدولة تبنت نظاما شيوعيا اشتراكيا، والشيوعية من النظم المعادية للإسلام وثقافته، التي تهدف بكلّ الوسائل إلى تقويض مبادئ الإسلام أسسه. وطبقا لهذا الخيار كانت نظرة الدولة آنذاك إلى هذه المدارس سلبية، وتعتبرها مؤسسات تعليمية غير منتجة، وغير مؤهلة لصناعة متعلّم قاعدي قادر على المساهمة في بناء الدولة والمجتمع. وسعت إلى إغلاقها أو تحويلها إلى مدارس عمومية فرنسية علمانية، إلّا أنّ الضغوطات الشعبية ضد السلطة، ومعارضة الأئمة والشيوخ لهذا القرار، أدت إلى تراجع الدولة عنه، ولجأت إلى وضع المدارس العربية الإسلامية تحت إشراف وزارة الداخلية ومراقبتها. (تراوري، 2000).

ورغم المضايقات والاضطهادات التي لاحقتها المدارس العربية الإسلامية بمالي بُعيد الاستقلال، إلّا أنّ ذلك لم يحدّ من استمرار مشاريع تأسيس المدارس في البلاد، فقد فتح مدارس كثيرة: نذكر منها

مدرسة "الاتحادية" ببروالي ولاية سيقو، وفتح مدرسة "التربية الإسلامية" بولاية سيكاسو، كما فتح "معهد أبي زيد القيرواني" بولاية غاو، إضافة إلى مدارس أخرى فتح بياماكو "معهد أنس بن مالك" و"المدرسة المحمدية" ومدرسة "نهر جوليبا"، وغيرها المدارس التي أسست في تلك الحقبة. (دامبلي، 2017).

## ب/ وضع المدارس العربية الإسلامية في ظلّ الجمهورية الثانية 1968-1985

في 19 نوفمبر 1968م، أطاح الجنرال موسى تراوري على السلطة، فكان ذلك أول انقلاب عسكري في تاريخ مالي، وهذا الاستيلاء على النظام الاشتراكي أحدث تغييرا هيكليا على توجهات الدولة، وخياراتها الاستراتيجية سياسيا واقتصاديا وتعليميا، هذا التحوّل كان في صالح التعليم العربي الإسلامي بشكل عامّ، والمدارس العربية الإسلامية بشكل خاصّ، حيث إنّ السلطة العسكرية تسعى إلى مساندة شعبية، لتعزيز قوّتها ونيل الشرعية، رفعت القيود عن المدارس العربية الإسلامية، واعتبرتها جزءا أساسيا من تراث مالي الثقافي والحضاري، ووسيلة من وسائل حفاظ المجتمع المالي من الانسلاخ عن هويّته الدينية والثقافية. وفي عام 1971م، أصدرت الحكومة مرسوما مفاده أنّ جمعية مالي للاتحاد وتقدّم الإسلام (AMUPI) هي التي تمثّل المدارس. (حسين، 2019)

وفي إطار اعتماد النظام العسكري المدارس العربية الإسلامية، كلّفت الحكومة مفتشي التعليم الأساسي سنة 1982م، إجراء بحث ودراسة ميدانية حول المدرسة المالية، فكشفت التقارير الصادرة في الفترة 1984-1985م، أنّ معدلات الالتحاق بالمدارس العربية الإسلامية عاليا، ومن أدّت هذه المدارس دورا هاما في الشأن التعليمي بمالي. (Leonardo A. 2012)

وعلى ضوء هذه التقارير الموجبة حول التعليم العربي الإسلامي، أخذت الدولة جملة من الإجراءات الإدارية والقانونية التي أسهمت في تطوّر المدارس وانتشارها وازدهارها في كل أنحاء البلاد، منها: أ/ تحويل المدارس العربية الإسلامية من إشراف وزارة الداخلية وضعها تحت إشراف وزارة التربية ومحو الأمية اللغات الوطنية، وفتح قسم لها في الوزارة باسم مركز رقي اللغة العربية سنة 1985م، مهمّته الإشراف على المدارس والتنسيق مع مؤسسيها في هندسة البرامج التعليمية والكتب المدرسية وتكوين المعلّمين، وكلّ ذلك في المرحلة الابتدائية والإعدادية.

ب/ تأسيس مدارس عربية فرنسية عمومية في بعض المناطق، مثل: المدرسة الفرنسية العربية بدار السلام باماكو، الثانوية الفرنسية العربية في بنمبا وتنبكت.

ج/ تنظيم امتحانات الشهادة الابتدائية الوطنية للمدارس العربية الإسلامية سنة (1985م-1986م)، تحت إشراف وزارة التربية ومحو الأمية واللغات الوطنية، ثم امتحانات الشهادة الإعدادية سنة (1989-1990م).

د/ إنشاء بعض المراكز الثقافية والتعليمية العربية الإسلامية بتمويل من الدول العربية، مثل: المركز الثقافي العربي الليبي بحمد لله باماكو.

و/ إصلاح البرامج التعليمية للمدارس العربية الإسلامية بمالي ومحاولة توحيدها.

هـ/ إسناد منح دراسية للمتعلمين الماليين لمزاولة دراساتهم الجامعية في بعض الدول العربية، مثل: مصر، المغرب، وتونس، والجزائر والسودان. (دامبلي، 2017).

ج/ تطوّر المدارس العربية الإسلامية بمالي في ظلّ الحكم الديمقراطي 1991-2010م.

مثل عصر ما بعد الجمهورية الثانية، والإطاحة بالنظام العسكري عام 26 مارس 1991م، منعظا جديدا في تاريخ دولة مالي، وذلك بانخراطها في النظام الديمقراطي، وشهد التعليم العربي الإسلامي تغييرا كبيرا على مستوى تطوير مناهج التعليم العربي الإسلامي وتكوين الأساتذة، وفتح معاهد وأقسام حكومية للغة العربية، وتشبيد مدارس ومعاهد، ودعم اللغة العربية النهوض بها. ولعلّ من الانجازات التي تحققت في تلك الحقبة ما يلي:

- قيام مركز رقي اللغة العربية بتصميم برنامج تعليمي للثانويات الأدبية عام 1991م، لكن دون اعتماد رسمي.

- تعيين متفقد للمرحلة الثانوية مستقلّ عن المركز.

- تنظيم امتحان البكالوريا الوطنية في المدارس العربية الإسلامية عام 1992م.

- إلغاء الثانوية العربية الإسلامية العامّة، عام 1993م.

-انعقاد ندوة وطنية لدراسة مشكلات المدارس العربية الإسلامية بتاريخ 1992/8/3م. (حسين، 2019).

أسهمت المدارس العربية الإسلامية بمالي في نشر اللغة العربية والحضارة العربية الإسلامية بغرب إفريقيا عام، في مالي خاصة كما أدى مؤسسوها دورا بارزا في انشائها أولئك المقاومين الذين ضحوا بأموالهم وأنفسهم في مواجهة المشروع الغربي المعادي للتعليم العربي الإسلامي بمالي، والساعي إلى علمنته، وتقويض معالم الثقافة العربية الإسلامية، وطمس الهوية الإسلامية والقضاء عليها. ذلك الدين الحنيف الذي لقي قبولا وترحابا كبيرين لدى الماليين فور وصوله إلى الديار المالية. فصار مرجعيتهم الدينية وهويتهم الحضارية، إلا أنه رغم انتشار المدارس العربية بمالي وتركيزها على التعليم الديني الإسلامي بشكل عام، وتدرّس التربية الإسلامية بشكل خاص، فإن تدرّسها ما زالت تعاني من عوائق عقبات تحول دون تحقيق مقاصدها التربوية وغاياتها التعليمية في جميع المراحل، ولا سيما في المرحلة الإعدادية.

### المحور الثالث: الأدوار الدينية والثقافية

لئن أدّت المجالس والجوامع والكتاتيب والزوايا والحلقات العلمية أدوارها دينية وثقافية في عصر الممالك والإمبراطوريات الإسلامية التي عرفت منطقة غرب إفريقيا، بفضل جهود العلماء وتشجيع الملوك والأمراء لهم وتنشيط الحركة العلمية والثقافية والدينية، ونشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في كل أنحاء المنطقة.

فإنّ المدارس العربية الإسلامية بمالي اضطلعت بأدوار دينية وثقافية واجتماعية منذ تأسيسها إلى يومنا هذا، وقد قدّم روادها ومؤسسوها خدمات جليلة، وجهود جبّارة، لتصبح هاته المدارس على مرّ السنين، قبلة تلاميذ العلم الشرعي، واللغة العربية، ومنهل العلوم الدينية واللغوية، ومنبع الأخلاق الفاضلة، والقيم النبيلة، الرامية إلى تعليم الأطفال، وتنقيفهم، وتهذيب أخلاقهم، وتكوينهم تكوينا متينا، ليغدو قادرين على أداء مهامهم، وأدوارهم الدينية، والثقافية والاجتماعية، كما لقيت المدرسة الإسلامية ترحيبا لدى الماليين، وأسرعوا في تسجيل أبنائهم بها، ليتعلّموا اللغة العربية والعلوم الدينية، لارتباط هذه العلوم المباشر بالإسلام.

ويمكن في هذا المستوى تقسيم المدارس العربية الإسلامية إلى ثلاثة:

أ- الدور الديني: تعليم الدين الإسلامي ونشره، تخريج العلماء، حفظ القرآن

\*تعليم مبادئ الدين الإسلامي:

للمدارس العربية الإسلامية فضل عظيم في النهوض بالثقافة الإسلامية بمالي، حيث تتلقى بها التلميذ مبادئ العقيدة الإسلامية التي ترسخ قيم الإيمان في نفسه منذ نعومة أظفاره، ويقرأ في المدارس أجزاء من كتاب الله العزيز (القرآن الكريم)، حفظاً، وتجويداً، وتفسيراً، كما يتعلم بها المبادئ الأساسية في فقه العبادات كأحكام الطهارة والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، ويدرس التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية، ما يمكنه من معرفة بطولات الإسلام وأمجاده، وانتصاراته، والأحداث الإسلامية الكبرى، ويساعده على دراسة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، من غزوات وسرايا، وهدية عليه الصلاة والسلام وشمائله، ودلائل نبوته، وإنجازات صحابته رضوان الله عليهم، وتضحياتهم في نشر الدعوة الإسلامية.

#### \*تخريج العلماء والدعاة:

أنجبت المدارس العربية الإسلامية علماء كبار في المجالات المعرفية المختلفة، الذين صاروا كتاباً ومؤلفين، وصحفيين، وأساتذة جامعيين، وسياسيين، ساهموا وما زالوا يساهمون في نشر الثقافة العربية الإسلامية بمالي، والنهوض بها، وتنمية الوعي والفكر في الحر في المجتمع المالي، كما صنعت دعاة يسهرون في العمل الدعوي، والإرشاد الديني، وتوجيه الناس في شؤونهم الاجتماعية، والدينية، فالعلماء والدعاة كل أولئك سعوا في خدمة المجتمع، وتوجيهه، ونصحه وتعليمه وتثقيفه، وتوعيته، وكان سعيهم مشكوراً.

والجدير بالذكر أنّ علماء مالي وكتّابها، ودعاتها الذين درسوا في المدارس العربية الإسلامية بمالي، قد التحق بعضهم إلى الدول العربية والإسلامية بمزاولة دراساتهم الجامعية في شتى الجامعات الإسلامية بدول العالم العربي والإسلامي، وتخصّصوا في المجالات العلمية المختلفة، ثمّ رجعوا إلى بلدانهم، لخدمة الدين، والمجتمع، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ

مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ التوبة: 122 وقد رجع هؤلاء العلماء إلى وطنهم، وأسهموا مساهمة كبيرة في النهوض باللغة العربية والثقافة الإسلامية بمالي، حيث أسسوا المدارس العربية الإسلامية، ومراكز تحفيظ

القرآن الكريم، واهتموا بالعمل الدعوي، والإصلاح الاجتماعي، والخدمة في الجمعيات الخيرية، والمنظمات الإنسانية، وكلّ هذا من أجل خدمة الدين، وإصلاح المجتمع، وبناء الوطن.

### \*تحفيظ القرآن الكريم وتجويده:

لئن كان دور مراكز تحفيظ القرآن الكريم بمالي فعّالا في إخراج عدد كبير من حفظة كتاب الله تعالى في كلّ أنحاء البلاد، الذين أصبحوا يشرفون بلادنا في المسابقات الإقليمية والدولية، فإن الفضل يعود إلى الله عز وجلّ أولاً، ثمّ المجالس العلمية والمساجد والمدارس العربية الإسلامية، التي غرست بذور حبّ القرآن الكريم في نفوس التلاميذ، وبيان فائدته وجدواه في حياة الناس الدينية والدنيوية، وأثره حفظ القرآن وترتيله في تنمية ملكة التلميذ اللغوية، وتوسيع مداركه العقلية، وتحقيق التوازن النفسي والروحي والأخلاقي لديه، ممّا يساعده على سرعة استيعاب المعارف الأخرى.

وتجدر الإشارة إلى أنّ مَدْرَسي مراكز التحفيظ في غرب إفريقيا عامة، وفي مالي خاصّة، أخذوا مكتسباتهم العلمية والمعرفية في القرآن وعلومه، على أيدي الشيوخ، والعلماء، والقراء المتمكّنين والأكفاء في علوم القرآن، الذين تربّعوا لتعليم القرآن وعلومه، تجويدا، وتحفيظا، وتفسيرا، في المساجد، والكتاتيب، (بللو، دت) والدور، والزوايا، علاوة على المدارس العربية الإسلامية- لا سيما في العصر الحديث والمعاصر- التي كوّنت العديد من حفظة كتاب الله، والقراء البارزين، ومؤسسي مراكز تحفيظ القرآن الكريم في بلادنا.

### \* الدور الثقافي:

فيما يتعلّق بالجانب الثقافي فدور المدارس العربية الإسلامية فعّال، وبصماتها واضحة في النهوض باللغة العربية، والحفاظ عليها، وكتابة، وتأليف، وتحديث، وهذا ظاهر في الفضاءات المدرسية، والجامعية، وفي ملتقيات المستعربين، ونواديهم، وبين التلاميذ أنفسهم، ومن هنا يبرز دور المدارس في تهيئة الظروف المناسبة لتحقيق ذلك، وتشجيع المبادرات التي تهدف إلى إحياء اللغة العربية، والحفاظ عليها، ليس لمكانتها في فهم الدين الإسلامي الحنيف عامّة والقرآن الكريم خاصّة فحسب، بل لكونها ظلّت جزءاً من هويتنا وتراثنا العلمي والثقافي والحضاري، إذ يوجد عندنا كمّ هائل من مخطوطاتنا المكتوبة باللغة العربية، فضلا عن دورها الديني.

ولعلّ النشاطات الفكرية والثقافية التي نشهدها في المشهد الثقافي بمالي خير شاهد على ذلك، المساجلات الشعرية، تنظيم المسابقات المختلفة في الشعر العربي، والحوارات والندوات العلمية، والفكرية، والبرامج الثقافية باللغة العربية في دولة غير ناطقة بها، لبرهان ساطع، ودليل قاطع على دور المدارس في

إخراج نخبة مثقفة ثقافة عربية إسلامية تحمل همّ الإسلام، واللغة العربية والثقافة الإسلامية في المجتمع المالي المتعدد لغويا، والمتنوع ثقافيا، وعرقيا، هذا ليس بأمر هين، وربما من الأدلة الملموسة على اهتمام دراسي العربية بمالي باللغة العربية : النوادي والجمعيات الأدبية والعلمية والتربوية والبرامج الثقافية ، كجمعية سحر البيان، ونادى التفوق والإبداع، وبرنامج تمبكتو تناديكيم. جلّ مؤسسي هذه الجمعيات والنوادي والبرنامج درسوا في المدارس العربية الإسلامية بمالي.

## خاتمة

يتبين من خلال ما سبق، أن المدارس العربية الإسلامية اضطلعت بأدوار محورية في نشر التعليم، وشكّلت نواة لنهضة دينية قائمة على ترسيخ القيم الإسلامية، وبثّ الوعي بها، وقد ساهمت في تعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم، إلى جانب تدريس العلوم الدينية والعقلية. لقد أدّى العلماء والفقهاء الذي تلقوا تعليمهم الأساسي والثانوي من هذه المدارس دورا كبيرا في توجيه المجتمع من خلال الدعوة والتدريس، وكانوا مثالا وقدوة في الأخلاق النبيلة، والخصال الحميدة، كما لم يقتصر أدوار هذه المدارس على التعليم الديني فحسب، بل شملت التعليم المدني أيضا، ممّا ساعدت في إعداد الكوادر المؤهلة والأكفاء للمساهمة في الحياة الاجتماعية، والثقافية، وبناء على ذلك يمكن القول، إنّ المدارس العربية الإسلامية بمالي مثّلت إحدى النواة الأساسية في بناء المجتمع، وتنمية وعي أفراده، وما برحت تحتفظ بمكانتها وأهميتها في تربية الأجيال، وتنشئتهم على قيم الإسلام، ورسائلته الخالدة، ونشر روح العلم والمعرفة وقيم العمل والاجتهاد.

## قائمة الإحالات:

### المراجع العربية:

- 1-ميغا، م. الطاهر. (2017). التعليم العربي ودوره في اندماج حملة الثقافة العربية الإسلامية في مجتمعات إفريقيا جنوب الصحراء: مالي نموذجًا. ضمن أعمال الندوة الإقليمية: اندماج حملة الثقافة العربية

الإسلامية في مجتمعات إفريقيا جنوب الصحراء، منظمة التعاون الإسلامي، الجامعة الإسلامية بالنيجر، ساي، النيجر (ص. 401).

2-ميغا، أ. إ. (1997). الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي، من 400 هـ إلى 1100 هـ (ط. 1). مكتبة التوبة.

3-الدالي، ا. الم. (2001). مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا من القرن 13-15 م (ط. 1). دار الملتقى للطباعة والنشر.

4-زبادية، ع. القادر. (د.ت). مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493-1591م). الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

5-زونغورانا، ح. (2002). صورة إفريقيا جنوب الصحراء من خلال كتب الرحالة المسلمين (رسالة ماجستير، المعهد العالي لأصول الدين، جامعة الزيتونة، إشراف سالم بويحي).

6-باري، ع. (2000). جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي (ط. 1). دار الأمين.

7-ميغا، ه. الم. (1998). المدارس الإسلامية العربية في غرب إفريقيا: مشكلات وحلول. مجلة الفيصل، (257)، 26.

8-دامبلي، م. (2017). المدارس العربية الإسلامية ودورها في تحقيق الاندماج الاجتماعي لحاملي الثقافة العربية الإسلامية في جمهورية مالي. ضمن أعمال الندوة الإقليمية: اندماج حملة الثقافة العربية الإسلامية في مجتمعات إفريقيا جنوب الصحراء، منظمة التعاون الإسلامي، الجامعة الإسلامية بالنيجر، ساي، النيجر (ص. 372-373).

9-سيلا، ب. (2008). واقع التعليم الإسلامي في مالي في القرن العشرين (رسالة ماجستير، المعهد العالي لأصول الدين، جامعة الزيتونة، إشراف محمد شقرون).

- 10-تيام، ش. (1993). الإسلام في الدولة العلمانية: مالي (ط. 1). مكتبة عيسى أنقويبا.
- 11-سيسي، ع. الر. (2009). تحليل نظام التعليم العربي الأهلي في مالي: دراسة تحليلية-1946 (2006دراسات إفريقية، (42)، 226-227.
- 12-تراوري، ع. ص. (2000). وضعية المدارس العربية الإسلامية في جمهورية مالي: دراسة تحليلية (بحث دبلوم عالٍ، المعهد العالي للتربية، الجامعة الإسلامية بالنيجر، إشراف ذكريا مؤمن.
- 13حسين، ع. (2019). واقع التعليم الإسلامي في مالي: المشكلات والحلول. ضمن ندوة التعليم الإسلامي في إفريقيا: الماضي، الحاضر، المستقبل، جامعة إفريقيا العالمية، السودان (ص. 68).
- 14-بللو، آ. (د.ت). الدراسات القرآنية في غرب إفريقيا: الواقع، الإشكالات، آفاق التطوير. مركز تفسير للدراسات القرآنية.

#### المراجع الأجنبية:

- 15-Ministère de l'Éducation, de l'Alphabétisation et des Langues Nationales (MEALN). (2010). *Les Medersas du Mali : leur Fonctionnement Administratif et Pédagogique* (Version finale). p. 9.
- 16-Villalon, L. A., Idrissa, A., & Bodian, M. (2012). *Religion, demande sociale, et réformes éducatives au Mali*. Africa Power and Politics Programme, Research Report, June 2012, p. 24.
- 17-Sidibé, A. (2021). *Le Français, l'Arabe et les Langues Locales en Afrique Subsaharienne (les cas du Mali)* (Master's thesis, Université Jean Moulin Lyon 3, Direction de Kamel Taraya), p. 38.